المعادل الموضوعي في شعرنا العربي بين الإبداع والتقليد

دكتور

حمدي فاروق صالح الشيخ

ملخص البحث:

لقد وظف العديد من شعراء العربية على مر العصور المعادل الموضوعي في أشعارهم للتعبير عن قضايا سياسية واجتماعية وإنسانية لا يستطيع الشاعر التصريح بها إلا من خلال أقنعة الرمز والمعادل الموضوعي.

وقد استخدم المعادل الموضوعي للهروب من سيطرة أحاسيس الشاعر على النص أو قناعا للتستر على الشخصية الحقيقية للمبدع ، وهو أيضا مصطلح نقدي يشير إلى الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف .

فالشعر لا يعبر عن الفكرة فحسب بل يعبر عن معادلها العاطفي والصورة الفنية التي نحصل عليها وفق معيار المعادل الموضوعي هي التفاعل بين الحس والفكر، فهي تلك التي تعرض تركيبا ناشئا من فكر وعاطفة في لحظة زمنية، ومن الواضح أن نظرية المعادل تعلمنا تشخيص العواطف بربطها بموضوعاتها فيبدو أن هناك نوعا من العلاقة السببية بين العاطفة والموضوع .

يقول فرانك ليفر: في القصيدة يوجد معناها لا في بطن الشاعر، ولا في ذهن الناقد ، والقيمة الشعرية لا تكمن فيما تقوله القصيدة وإنما فيما تكونه، ويكون ذلك باختيار بطل بديلا عن شخصية الأديب، يتصرف وفق ما يقتضيه الموقف، دون أن يفطن الجمهور إلى أن هذه الشخصية هي الظل لشخصية المؤلف الحقيقي، وبذلك فلابد للنص الشعري أن يحدث تأثيرا في الجمهور، وأن يهز المشاعر ويذكيها ويلامس الوجدان، ويداعبه، وأن يقع ذلك التأثير موقع البلسم من الجرح وموقع النوتة من الإيقاع ، فإن الكاتب المبدع قد كان ناجحا في إيجاد المعادل الموضوعي الأمثل والأنجع للتعبير عن تلك المشاعر ، فإذا فشل في إيجاد هذا المعادل وتوظيفه توظيفا فنيا رائعا إما أن تحدث القطيعة النهائية بين النص والمتلقي ويستغلق على الجمهور الانفعال والتجاوب والتأثير والدهشة ، وأما أن يحدث شرحا جزئيا يؤدي إلى الانفعال الخاطئ فتنتج مشاعر النفور بدلا من المشاركة الوجدانية، وأحاسيس الغضب بدلا من الطمأنينة ، وفي الحالتين يفشل العمل الإبداعي فشلا ذريعا من الناحية الفنية والجمالية .

ويقول رشاد رشدي : فالبلاغة تتمثل كما يقول إليوت في أن يخلق الكاتب شيئا يجسم الإحساس، ويعادله معادلة كاملة، فلا يزيد أو ينقص منه حتى إذا ما اكتمل خلق هذا الشيء استطاع أن يثير في القارئ الإحساس الذي يهدف إلى إثارته [١].

ويقول أيضا : إن الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الوجدان في الفن هي بإيجاد معادل موضوعي أو بخلق جسم محدد أو موقف أو سلسلة من الأحداث، تعادل الوجدان المعين الذي يراد التعبير عنه، حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية التي لابد أن تنتمي إلى خبرة حسية تحقق الوجدان المطلوب إثارته [٢] .

ويري ت.اس إليوت أن الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة إنما تكون بالعثور على معادل موضوعي يكون هو الطريق الذي يحمل عاطفة الشاعر وأحاسيسه وينقلها إلى المتلقي للتأثير فيه.

وحتى يتمكن الشاعر من استبعاد المؤثرات الذاتية الخاصة التي صبغت الاتجاه الرومانسي ويتخلص من التدخل المباشر للشاعر كشخصية في مسار قصيدته التي يبتغي من ورائها تحقيق المعني الإنساني الشامل ، وهكذا فإن هندسة القصيدة ، وبناء ذلك المسار الشعري على خلفية المعادل الموضوعي يحقق للشاعر إمكانية التخفي والهروب من طغيان عواطفه وأحاسيسه على القصيدة .

أما في أدبنا العربي فإن المعادل الموضوعي موجود على مر العصور من الجاهلية حتى العصر الحديث وقد استخدمه الشعراء في التعبير عن مشاعرهم وتجاربهم الذاتية التي يريدون إخفاءها وعدم الظهور بشخوصهم أمام الجمهور خشية المساءلة أو العقاب أو عدم القدرة على التعبير المباشر الصريح عن معاناتهم ومشكلاتهم إلا من خلال معادل موضوعي يصور مشاعرهم وآلامهم ، وسوف نقف على شواهده من خلال عصور الأدب المختلفة .

فالبلاغة وأساليبها وما تزخر به من صور شعرية ورموز ومجاز ليست سوي قنوات يتم من خلالها التوصل إلى معادلات موضوعية للعواطف والأحاسيس ، ثم التعبير من خلالها بوسائل ومواقف وحالات تؤكد اللامباشرة واللا شخصانية ، وأي انحراف عن هذه الطريقة يؤدي إلى السقوط في بحيرة المباشرة الآسنة، لأن التعبير المباشر عن المشاعر يدل على فشل الكاتب في الخلق فشلا يرجع أسبابه إلى عدم وجود المعادل الموضوعي الذي يقوم مقام الإحساس، فعلي الكاتب أن يصور الإحساس أو الفكرة بدلا من الإخبار بها [٣].

Abstract

---

[١]) السابق/٦

[٢]) رشاد رشدي : مجلة المسرح ، شكسبير والمعادل الموضوعي ٦/٤٤

[٣]) رشاد رشدي : ما هو الأدب ، مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٢/١٩٧١

this paper tries to trace of the (objective correlative) one of the most important sections in this paper have been devoted to examine the various roots of eliots objective correlative the impact of this imotion on the arab criticism and how it was employed by poets

The objective equivalent in our Arabic poetry between tradition and creativity

Many Arabic poets throughout the ages have employed the objective equivalent in their poems to express political, social and human issues that the poet can only express through the masks of the symbol and the objective equivalent.

The objective equivalent was used to escape the control of the poet's feelings over the text or a mask to cover up the true personality of the creator. It is also a critical term that refers to symbolism used to express abstract concepts such as emotions.

Poetry not only expresses the idea, but also expresses its emotional equation, and the artistic image that we obtain according to the criterion of the objective equation is the interaction between sensation and thought, as it is that which presents a composition arising from thought and emotion in a moment in time, and it is clear that the theory of the equation teaches us to diagnose emotions by linking them to their subjects. That there is some kind of causal relationship between the emotion and the object.

Frank Lever says: In the poem there is its meaning neither in the belly of the poet nor in the mind of the critic, and the poetic value does not lie in what the poem says but in what it is, and that is by choosing a hero instead of the personality of the writer, who acts according to the requirements of the situation, without the audience realizing that This character is the shadow of the character of the true author, and thus the poetic text must have an impact on the audience, and that it shakes and stimulates feelings, touches the conscience, and caresses it, and that the effect falls on the site of the balm of the wound and the position of the note on the rhythm, for the creative writer has been successful in finding the objective equivalent The best and most effective expression of those feelings, if it fails to find this equivalent and employ it in a wonderful artistic way, either the final rupture occurs between the text and the recipient and closes to the audience the emotion, response, influence and surprise, or if a partial explanation takes place that leads to the wrong emotion, it produces feelings of aversion instead of emotional participation, Feelings of anger instead of reassurance, and in both cases the creative work fails miserably from a technical and aesthetic point of view.

Rashad Rushdie says: Rhetoric is represented, as Elliot says, in that the writer creates something that embodies the feeling, and equates

it with a complete equation, so that it does not increase or decrease it, even if the creation of this thing is complete, it can arouse in the reader the feeling that aims to arouse it. (1)

He also says: The only means of expressing sentiment in art is by finding an objective equivalent or by creating a specific object, situation, or series of events, equivalent to the specific sentiment that is intended to be expressed, even if the external facts are completed that must belong to a sensory experience that achieves the desired conscience. Stir it.(2)

TS Eliot believes that the only way to express emotion is by finding an objective equivalent that is the way that carries the poet's emotion and feelings and transmits them to the recipient to influence him.

In order for the poet to exclude the special self-influences that dyed the romantic trend and get rid of the direct interference of the poet as a character in the path of his poem, which seeks from behind it the achievement of the comprehensive human meaning, and thus the engineering of the poem and building that poetic path against the background of the objective equivalent enables the poet to hide and escape from the tyranny. His emotions and feelings on the poem.

As for our Arabic literature, the objective equivalent has existed throughout the ages from pre-Islamic to the modern era, and poets have used it to express their feelings and personal experiences that they want to hide and not to appear with their personalities before the public for fear of accountability or punishment or the inability to express directly and frankly about their suffering and problems except through Objective equivalent depicts their feelings and pain, and we will stand on its evidence through the different eras of literature.

Rhetoric, its methods, and its rich in poetic images, symbols and metaphors are nothing but channels through which objective equations of emotions and feelings are reached, then express through them by means, positions, and cases that confirm the directness and impersonation, and any deviation from this method leads to falling into the lake of direct and bold, because expression Directly about feelings indicates the writer's failure to create a failure due to the absence of an objective equivalent that takes the place of feeling, so the writer should depict the feeling or idea instead of informing it.(3)

المعادل الموضوعي في أدبنا العربيobjective correlative

مصطلح حديث في النقد عرف عند توماس إليوت ، الشاعر الناقد الإنجليزي ، ويعني طريقة التعبير عن الانفعال في صورة فنية أي العثور على مجموعة أشياء على موقف على سلسلة من الأحداث تكون هي الصيغة الفنية التي توضع فيها تلك العاطفة، حتى إذا أعطيت الوقائع الخارجية التي لابد أن تنتهي خلال التجربة الحسية استثيرت العاطفة على التو .

وهو مصطلح نقدي يشير إلى الأداة الرمزية التي يستخدمها النقاد المبدعون للتعبير عن بعض المفاهيم المجردة التي يوظفها الشعراء لإبعاد ذواتهم وأحاسيسهم عن العمل الإبداعي ،.

ويوفر مصطلح المعادل الموضوعي عنوانا للطريقة التي يقدم بها الفن مجموعة من التمثيلات التي قد لا يصرح بالعاطفة فيها ، ولكنها تعبر عن هذه العواطف وهو معادل خارجي لحالة ذهنية داخلية، يتمثلها الشاعر خاصة، انطلاقا من نظرة إليوت للقصيدة التي غيرت مسارها من كونها تعبيرا إلى كونها خلقا ناتجا عن التجربة الشعرية في تفاصيلها الدقيقة وامتزاجها بواقع الشاعر مع المتخيل المخضب بالخلفيات النفسية والاجتماعية والمخضل بالمحمولات الفلسفية والحضارية .

ويري رشاد رشدي أن المعادل الموضوعي نظرية بسيطة للغاية ، وهي في الواقع قانون من قوانين الفن لم يكن لإليوت فضل ابتكاره ، بقدر ما كان له فضل اكتشافه ، ولكن رغم بساطتها فقد كان له أثر فعال في النقد والخلق ، على السواء فكما أنها أصبحت مقياسا توزن به الأعمال الفنية وتساعدنا على تفهمها ، كذلك أصبحت نبراسا يهتدي به الكتاب في كتاباتهم. .والمعادل الموضوعي تقنية فنية يوظفها الكتاب والشعراء بصورة بسيطة؛ وهو مجموعة من المواقف والرموز والأغراض التي تتسلسل وتتكاثف لتشكل بديلا فنيا لصورة لا يفصح عنها الكاتب مباشرة لكن الأمر لا يتوقف هنا فهناك شعراء يلجؤون إلى توظيف رموز معقدة ومواقف مركبة وسط متاهة من الرموز المشفرة التي يستحيل فكها إلا على قارئ ذكي أو ربما يستحيل فكها إلا على ناقد متمرس ، ومن ثم فإن استعمالات المعادل قد لا تتسم دائما بهذه البساطة التي يراها رشاد رشدي ، وتتمثل نظرية المعادل الموضوعي للمشاعر في قول إليوت: إن قدرة الشاعر على التعبير عن الحقيقة العامة من خلال تجربته الخاصة المركزة بحيث يستجمع كل الخصائص المميزة لتجربته الشخصية ويستخدمها في خلق رمز عام [١] .

[١]) إليوت eliot : selecteol prose.p23

يقول : ت. اس. إليوت: المعادل الموضوعي هو الطريقة الوحيدة للتعبير عن الإحساس في قالب فني، إنما تمكن في إيجاد معادل موضوعي لهذا الإحساس، أو هو إيجاد مجموعة من الموضوعات أو مواقف أو سلسلة من الأحداث التي تشكل وعاء لهذا الإحساس

الخاص،بحيث يتجلى هذا الإحساس بمجرد أن تعرض تلك الموضوعات أو المواقف أو الأحداث مقدمة في شكل تجربة حسية [١] .

إن النص معادل موضوعي لهموم الإبداع وليس تعبيرا عن الحقيقة ، فالحقيقة ليست بمتناول أحد وقد كان لاختلال بنية المجتمع وضياع المعايير الضابطة للغز سبب جلي لاغتراب الفرد والسعي نحو الانفصام عن المجتمع جسميا ومكانيا ، فالمجتمع حقيقة موضوعية تعلو على الأفراد وتسبقهم في الوجود وتفرض عليهم إلزاما معينا وتحدد أنماطهم ، وإن تصور العلاقات المتبادلة بين الفرد والمجتمع ومدي إسهام كل منهما في الآخر.

وهو وسيلة للتعبير عن الوجدان، إذ يقوم الشاعر بخلق جسم محدد أو موقف أو سلسلة من الأحداث تعادل الوجدان المعين الذي يراد التعبير عنه، حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية التي لابد أن تنتهي إلى خبرة حسية تحقق الوجدان المطلوب إثارته [٢] .

ظهور المصطلح :

منذ نشر إليوت مقالته النقدية ١٩١٩ باسم hamlet his probleims هاملت ومشكلاته ظهر مصطلح المعادل الموضوعي وتناوله النقاد والمبدعون في أعمالهم هذا من وجهة النظر الغربية ،.

أما في أدبنا العربي فإن المعادل الموضوعي موجود على مر العصور من الجاهلية حتى العصر الحديث وقد استخدمه الشعراء في التعبير عن مشاعرهم وتجاربهم الذاتية التي يريدون إخفاءها وعدم الظهور بشخوصهم أمام الجمهور خشية المساءلة أو العقاب أو عدم القدرة على التعبير المباشر الصريح عن معاناتهم ومشكلاتهم إلا من خلال معادل موضوعي يصور مشاعرهم وآلامهم، وسوف نقف على شواهده من خلال عصور الأدب المختلفة .

فالشاعر صانع لا ناقل :

إنه صانع شيئا ماديا يحاكي تجربته، أما في الأدب الرومانسي فالقصيدة تعبير عن ذات الشاعر ، ولذلك تفضي القصيدة إلى الشاعر ذاته، وأن شعرية الشعر في مجملها تتحدث

---

[١]) محمد عزام : المنهج الموضوعي في النقد الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب /٢٨

[٢]) رشدي : مقالات في النقد الأدبي

عن الانفعالات والأحاسيس التي تعاد صياغتها من قبل القارئ وهذا هو جوهر المعادل الموضوعي لدي إليوت .

فإذا كان الرومانسيون يرون أن الشعر تعبير عن الذات فإن إليوت يري أن الشعر هروب من الذاتية ، فليس الشعر إطلاقا لسراح الانفعال ، وإنما هو هروب من الشخصية، ولكن من

الطبيعي ألا يعرف معنى الرغبة في الهروب من الشخصية ومن الانفعالات سوى من يملك هذه الأشياء ، .

وهو المفهوم الذي يرتبط بلا شخصانية القصيدة الشعرية، وبالمنهج الموضوعي الذي دعا إليه إليوت والنقاد الجدد، ومن قبلهم ثلة من المفكرين والفلاسفة الغربيين كالإنجليزي ماثيوأرنولد والإيطالي كروتشي وغيرهم، يقول إليوت: إن الشعر ليس تعبيرا عن العواطف وإنما هو هروب من العواطف ،.

وعلى نهج إليوت سار رشاد رشدي الذي كان يري أن الأدب ليس تعبيرا عن شخصية الكاتب وسيرته وبيئته ويدعو للنظر في مسرحيات شكسبير التي لا يمكنها بأية حال من الأحوال أن تكون مرآة لشكسبير، أو لعصره، فلو أنك حاولت أن تجد في مسرحية من مسرحيات شكسبير مثل عطيل وهاملت أو غيرها تعبيرا واحدا عن شخصية شكسبير لما نجحت في ذلك [١].

ويقول رشاد رشدي : فالبلاغة تتمثل كما يقول إليوت في أن يخلق الكاتب شيئا يجسم الإحساس، ويعادله معادلة كاملة، فلا يزيد أو ينقص منه حتى إذا ما اكتمل خلق هذا الشيء استطاع أن يثير في القارئ الإحساس الذي يهدف إلى إثارته [٢].

استطاع إليوت أن يتحدث عن نظرة الناس القائمة إلى الحضارة وعن ضياع الفرد واضطرابه النفسي في ظل تلك الحضارة النخرة [٣]

البلاغة والمعادل الموضوعي :

فالبلاغة وأساليبها وما تزخر به من صور شعرية ورموز ومجاز ليست سوي قنوات يتم من خلالها التوصل إلى معادلات موضوعية للعواطف والأحاسيس ، ثم التعبير من خلالها بوسائل ومواقف وحالات تؤكد اللامباشرة واللا شخصانية، وأي انحراف عن هذه الطريقة

---

[١])رشاد رشدي : ما هو الأدب/١٢

[٢]) السابق/٦

[٣]) إحسان عباس : فن الشعر/١١٢

يؤدي إلى السقوط في بحيرة المباشرة الآسنة ، لأن التعبير المباشر عن المشاعر يدل على فشل الكاتب في الخلق فشلا يرجع أسبابه إلى عدم وجود المعادل الموضوعي الذي يقوم مقام الإحساس ، فعلي الكاتب أن يصور الإحساس أو الفكرة بدلا من الإخبار بها [١].

ويري رشاد رشدي أن الرمزية في التعبير هي التمثيل الأسمى لفكرة المعادل الموضوعي والتي حاول من خلالها أن يؤسس بلاغة عربية جديدة مبنية على مقومات جديدة تكرس مفهوم أن اللغة رمز وأنها لذلك يجب أن تكون وسيلة لا غاية تنشد [٢].

ويقول أيضا: إن الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الوجدان في الفن هي بإيجاد معادل موضوعي أو بخلق جسم محدد أو موقف أو سلسلة من الأحداث، تعادل الوجدان المعين الذي يراد التعبير عنه، حتى إذا ما اكتملت الحقائق الخارجية التي لابد أن تنتمي إلى خبرة حسية تحقق الوجدان المطلوب إثارته [٣] .

وحتى يتمكن الشاعر من استبعاد المؤثرات الذاتية الخاصة التي صبغت الاتجاه الرومانسي ويتخلص من التدخل المباشر للشاعر كشخصية في مسار قصيدته التي يبتغي من ورائها تحقيق المعني الإنساني الشامل، وهكذا فإن هندسة القصيدة، وبناء ذلك المسار الشعري على خلفية المعادل الموضوعي يحقق للشاعر إمكانية التخفي والهروب من طغيان عواطفه وأحاسيسه على القصيدة .

لماذا يلجأ الشاعر إلى المعادل الموضوعي ؟

لقد وظف العديد من شعراء العربية على مر العصور المعادل الموضوعي في أشعارهم للتعبير عن قضايا سياسية واجتماعية وإنسانية لا يستطيع الشاعر التصريح بها إلا من خلال

أقنعة الرمز والمعادل الموضوعي، فهذا عبد الوهاب البياتي يلجأ إلى استخدام القناع المستعار من التاريخ والرمز والأسطورة كي يعبر من خلاله عن المحنة الاجتماعية والعالمية،

فالقناع هو الاسم الذي يتحدث عن طريقه الشاعر عن نفسه، متجردا من ذاتيته، أي أنه يعمد إلى خلق وجود مستقل عن ذاته، وبذلك يبتعد عن حدود الغنائية والرومانسية ؛ لأن

---

[١]) رشاد رشدي : ما هو الأدب ، مكتبة الأنجلو المصرية ط ١٢/١٩٧١

[٢]) mark amtliff, scott w.kleim:vorticism:/8

[٣]) رشاد رشدي : مجلة المسرح ، شكسبير والمعادل الموضوعي ٦/٤٤

الانفعالات الأولى لم تعد تشكل القصيدة ومضمونها بل هي الوسيلة إلى الخلق الفني المستقل ، والقصيدة في هذه الحالة عالم مستقل عن الشاعر، وإن كان منشئها لا تحمل آثار التشويهات والصرخات والعلل النفسية التي يحفل بها الشعر الذاتي الغنائي [١].

لقد استخدم المعادل الموضوعي للهروب من سيطرة أحاسيس الشاعر على النص أو قناعا للتستر على الشخصية الحقيقية للمبدع، وهو أيضا مصطلح نقدي يشير إلى الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف .

يوفر هذا المصطلح عنوانا للطريقة التي يقدم بها الفن مجموعة من التمثيلات التي قد لا يصرح بالعاطفة فيها لكنها تعبر عن هذه العواطف، ووظيفة المعادل الموضوعي تكمن في التعبير عن عواطف الشخصيات عن طريق العرض أكثر من وصف المشاعر ، ووفقا للنقد الشكلاني، فإن خلق العاطفة عن طريق العناصر والأدلة الخارجية المرتبطة لتشكيل معادل موضوعي ينبغي أن يفصل المؤلف عن شخصيات العمل الفني ويؤدي إلى وحدة العاطفة في العمل الفني .

ويري ت.اس إليوت أن الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة إنما تكون بالعثور على معادل موضوعي يكون هو الطريق الذي يحمل عاطفة الشاعر وأحاسيسه وينقلها إلى المتلقي للتأثير فيه فقد يقول الشاعر: أنا سعيد لرؤية مشهد الأطفال وهم يمرحون، لأنه يعطينا معادلا موضوعيا لهذا الشعور ،.

لقد كان إليوت يري أن التأثير الفني الذي تتركه القصيدة في متلقيها لا يتحقق إلا بعد ترجمة الإحساس أو العاطفة أو الانفعال أو الشعور إلى موضوع، بمعني أن الإحساس الذي يثيره العمل الفني في نفوسنا يختلف في طبيعته عن الإحساس الذي تزودنا به الحياة، فلو لم يخرج الشاعر الإحساس إلى نطاق الموضوعية لما كان للقصيدة تأثير علينا لأن الشعر لا يعبر عن الفكرة فحسب بل يعبر عن معادلها العاطفي والصورة الفنية التي نحصل عليها وفق معيار المعادل الموضوعي هي التفاعل بين الحس والفكر، فهي تلك التي تعرض تركيبا ناشئا من فكر وعاطفة في لحظة زمنية ، ومن الواضح أن نظرية المعادل تعلمنا تشخيص العواطف بربطها بموضوعاتها فيبدو أن هناك نوعا من العلاقة السببية بين العاطفة والموضوع .

---

[١]) نجيب البعيني ، موسوعة الشعراء العرب المعاصرين ، دار المناهل لبنان/٤٧٢

أهمية استخدام المعادل الموضوعي :

المشاعر المجردة لا يمكن أن تعبر عن جوهر الحقائق الكامنة وأن السبيل الأمثل للتعبير عنها لا يمكن في التعبير عنها صراحة وإنما بالبحث عن مقابل مادي لهذه المشاعر، فإذا ما أراد الشاعر المبدع أن يحدث تأثيرا عاطفيا جيدا على قرائه أو أراد الكاتب المسرحي أن تكون لمسرحيته الأثر المرتجى ، وأن تكون ردة فعل جمهوره ردة إيجابية كان عليه أن يجد جملة من الصور المترابطة أو الأوصاف المتشابكة أو الأغراض المنسجمة التي تستدعي تلك العاطفة المناسبة وذلك التأثير الوجداني المرجو ، وردة الفعل العاطفية هذه تجاه الأثر الفني قصيدة أو مسرحية أو قصة لا يمكن أن تتأتى من خلال لفظة لغوية واحدة، ولا من خلال صورة فنية واحدة ، أو من خلال جملة واحدة ، أو من خلال رمز أسطوري أو تاريخي ، وإن التأثير يجب أن يصل إلى المتلقي من خلال اجتماع كل هذه الوحدات وتضافرها فيما بينها ، لتشكل مشهدا واحدا قادرا على أحداث الدهشة والتجاوب وربط المتلقين ولتحدث التأثير المنتظر على الجمهور .

وإن المعيار الحقيقي للعمل الفني يكمن في مدى التناغم الذي يحدث بين عناصره المختلفة والمتناقضة ويصل قمته في نهاية العمل ، وهو التناغم الذي ينتقل بدوره كاملا إلى داخل المتلقي بمجرد الانتهاء من العمل [١] .

فالمعادل لعبة استبدال لغوية للتعبير المباشر عن العاطفة في مادتها الخام بموقف متكامل يعبر عن هذه العاطفة، وسلسلة متراصة من التلميحات والتلويحات التي تسهم في تدفق الدلالة المرجوة وتحقيق الإثارة المبتغاة في المتلقي بطريقة غير مباشرة ، ذلك أن القصيدة تقود نفسها بنفسها تعري مجاهيلها، وتفصح عن معانيها وما وراء تلك المعاني من خلال نوافذها التي تفتحها على ذاتها ، فلا الشاعر المفلق ولا القارئ العارف ولا حتى الناقد الحصيف يمكنه أن يستكشف شيئا عنها خارج كلمات القصيدة ، وخارج الألفاظ على الورق words on pages كما يقول فرانك ليفر: في القصيدة يوجد معناها لا في بطن الشاعر ، ولا في ذهن الناقد ، والقيمة الشعرية لا تكمن فيما تقوله القصيدة وإنما فيما تكونه ، ويكون ذلك باختيار بطل بديلا عن شخصية الأديب، يتصرف وفق ما يقتضيه الموقف، دون أن يفطن الجمهور إلى أن هذه الشخصية هي الظل لشخصية المؤلف الحقيقي ، وبذلك فلابد للنص الشعري أن يحدث تأثيرا في الجمهور، وأن يهز المشاعر ويذكيها ويلامس الوجدان، ويداعبه، وأن يقع ذلك

[١]) محمود قاسم : موسوعة جائزة كوبل ٩٠ مكتبة مدبولي /١٧٦

التأثير موقع البلسم من الجرح وموقع النوتة من الإيقاع ، فإن الكاتب المبدع قد كان ناجحا في إيجاد المعادل الموضوعي الأمثل والأنجع للتعبير عن تلك المشاعر، فإذا فشل في إيجاد هذا المعادل وتوظيفه توظيفا فنيا رائعا إما أن تحدث القطيعة النهائية بين النص والمتلقي ويستغلق على الجمهور الانفعال والتجاوب والتأثير والدهشة ، وأما أن يحدث شرخا جزئيا يؤدي إلى الانفعال الخاطئ فتنتج مشاعر النفور بدلا من المشاركة الوجدانية ، وأحاسيس الغضب بدلا من الطمأنينة، وفي الحالتين يفشل العمل الإبداعي فشلا ذريعا من الناحية الفنية والجمالية .

مكونات المعادل الموضوعي :

الفكرة الأساسية التي بني عليها مفهوم المعادل الموضوعي عند إليوت ، هي أن العمل الأدبي خلق ناتج عن تحويل انفعال الشاعر ، فالانفعال المستعار في السكينة هو معادلة دقيقة لأنه ليس انفعالا ولا تذكرا ، إنه تركيز وشيء جديد ينتج عن التركيز لعدد كبير من التجار ب التي لا تبدو للشخص العملي الفعال تجارب على الإطلاق [١].

وإن مشاعر الشاعر هي قبل كل شيء المعين الأساسي الذي يلتقط منه أفكاره وصوره، فالشعر الرفيع يصاغ من المشاعر وحدها ، وفكر الشاعر حين يلتقط ويخزن ما لا يحصر من المشاعر والعبارات والصور التي تبقي هناك إلى أن تلتقي معا جميع العناصر التي يمكن أن تتفاعل لتكون مركبا شعريا جديدا [٢].

وإن انفعال الفن ليس شخصيا أي إنه يتعلق بالقصيدة لا بالشاعر، وهو انفعال لا يوصف بالمصطلحات العقلية والرمزية ، وإنما يترجم إلى موقف أو عمل ملموس يثير استجابة انفعالية ، والفنان الحق هو الذي يعبر عن شخصيته في القصيدة تعبيرا غير مباشر ، فكلما كان الفنان كاملا كان انفصاله أتم عن الرجل الذي يعاني ، والعقل الذي يخلق ، وكان عقله أقدر على هضم وتمثل العواطف التي هي مادته ، ومهمة الشاعر تكون في خلق معادل موضوعي جديد ، يكون بديلا من المشاعر ، وناتجا عن تركيز تجاربه .

ويؤكد إليوت استقلال الأدب عن حياة كاتبه ، لأننا عندما نقرأ العمل الأدبي ننسي كل ما هو خارج عنه ، ويشمل ذلك الشاعر أو الكاتب الذي كتبه ، ويبقي العمل هو الحقيقة الوحيدة الكائنة التي تتضاءل إلى جانبها جميع الحقائق الأخرى حتى حقيقة الكاتب الذي كتبها [٣] .

---

[١]) ما تين : إليوت الشاعر الناقد /١٣٣

[٢])حسام الخطيب : تطور الأدب الأوربي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية ، ط دمشق ١٩٧٤ ص٤٦٥

[٣]) السابق /٤٦٦

والشيء الذي يقدم لنا في القصيدة لا يكون ولن يستطيع أن يكون شخصية الشاعر ، لأننا حين نقرأ القصيدة ننسي كل ما هو خارج عنها ويشمل ذلك الشاعر ، لأن عملية القراءة والتذوق تتعامل مع العمل الفني نفسه لا مع خالقه ، وإن اهتمام الشاعر لا ينصرف إلى الفكر بمقدار ما ينصرف نحو إيجاد المعادل العاطفي للفكر ، وإن المهمة الأساسية للشعر عاطفية لا عقلية ، وإن عواطف الشاعر ليست مهمة في ذاتها ، لأن مركز القيمة لا يكون في المشاعر نفسها بل في الأنموذج الذي صنعه معبرا عن مشاعره [١].

والشعر خلق وليس نقلا، خلق شيء جديد عن تركيز تجارب الشاعر، أو عن تحويل انفعاله إلى شيء، وهذا يصب في بحر الفكرة الأصلية التي يعنيها مفهوم المعادل الموضوعي،.

وإن طبيعة الشعر تتكون من تفاعل الذات والموضوع ، فالذات الطرف الأول ، منبع الفكر والعاطفة ، والموضوع الطرف الثاني ، منابع الأحداث والأشياء والشاعر المبدع يعرف كيف يتخذ لعناصر ذاته العاطفية والفكرية معادلا من عناصر الأحداث والأشياء، والشعر الخالد دائما يعتمد على تصوير الفكر والشعور بتقرير الأحداث في العمل الإنساني، أو الأشياء في العالم الخارجي [٢] .

والشعر عند إليوت وباوند يتحول من الداخل – الذات – إلى الخارج – منابع الأحداث والأشياء أو من الذات إلى الموضوع ، ففي الذات عناصر الفكر والعاطفة وخارج الذات عناصر الأحداث والأشياء ومن هذه العناصر الخارجية يتخذ منها الشاعر معادلا لمشاعره وأفكاره ، فالذاكرة تستطيع التقاط حوادث ومشاعر قديمة وتجعلها جديدة في الأذهان ، فتبدو وكأنها جزء من الحاضر .

ويري الرمزيون أن الشعر لا يستطيع التعبير عن الانفعال مباشرة ، بل يستحضر الانفعالات فقط ، ويري بودلير أن كل لون أو صوت أو رائحة هو انفعال تحول إلى مفهوم وأن لكل صورة بصرية مثيلتها في الحقول الأخري [٣].

---

[١]) ما تيسن : إليوت الشاعر الناقد /١٣٠

[٢]) السابق / ١٣٢

[٣]) حسام الخطيب : النقد الأدبي ج ١٥٣/٤

ويري باوند أن الشعر نوع من الرياضيات المتلقاة إلهاما ، وأن طبيعة الشعر تكون بتفاعل عناصر الذات والموضوع ، تفاعل عناصر الفكر والشعور أو العاطفة ، مع العناصر الخارجية ، والشاعر يتخذ من الأشياء والعناصر المحيطة به معادلات موضوعية لعناصر ذاته العاطفية والفكرية .

وإن نظم الشعر لا ينبعث إلا عن إحساس، ولا يصدر إلا عن عاطفة ووجدان [١] والطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة هو إيجاد معادل موضوعي لها .

ومن خلال تتبع أدبنا العربي نرى استخدام المعادل الموضوعي بكثرة عند شعرائنا على مر لعصور فذكر حاتم الطائي مثلا معادل للكرم والجود ، وكذلك كيف يكون ذكر موقعة كمعركة بدر معادلا موضوعيا لعاطفة الشاعر لنصر الفئة القليلة على الفئة الكثيرة بإذن الله ، إن الشاعر يستخدم حاتم الطائي معادلا موضوعيا لعاطفة الندي والكرم والجود، فالندي صفة إنسانية يعظمها أبو تمام في ممدوحيه ويغريهم بها لأنها رأس الفضائل ، والسبيل إلى كل المحامد ، وعاطفة الشاعر نحو الندي هي عاطفة الإعجاب والتقدير ، وعندما يريد الشاعر تجسيد هذه العاطفة يذكر حاتم الطائي يقول أبو تمام في مدح أحمد ابن الخليفة المعتصم :

أبليت هذا المجد أبعد غاية فيه وأكرم شيمة ونحاس

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس [٢]

فحاتم ليس مفخرة أبي تمام فقط بل هو مفخرة الطائيين جميعا يقول الشاعر :

أبى قدرنا في الجود إلا نباهة فليس المال عندنا أبدا قدر

لينجح بجود من أراد فإنه عوان لهذا الناس وهو لنا بكر

جري حاتم في حلبة منه لو جري بها القطر شأوا قيل : أيهما القطر ؟

فتى : ذخر الدنيا أناس ولم يزل بها باذلا فانظر لمن بقي الذخر

جمعنا العلا بالجود بعد افتراقها إلينا كما الأيام يجمعها الشهر

لقد وجد أبو تمام في شخص حاتم الطائي معادلا موضوعيا لعاطفته نحو الكرم، لأن شخصية حاتم وسيرة حياته تجعلانه معادلا موضوعيا لعاطفة الكرم .

---

[١]) يوسف بكار ، القصيدة العربية ، دار الثقافة ، القاهرة /٨١

[٢]) ديوانه ٢٤٠/٢٤٩

ومعركة بدر معادل موضوعي للعاطفة الدينية وانتصار للإرادة يصور ذلك أبو تمام في مدحه المعتصم بعد انتصاره على الروم وفتح عمورية فيقول :

خليفة الله جازى الله سعيك عن جرثومة الدين والإسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب
إن كان بين صروف الدهر من رحم موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتي نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب

إن أيام المعتصم التي تنتسب إلى بدر هي يوم بدأت فيه وقعة عمورية بين بكر والروم، فقد كان فتح عمورية ليس عدوانا من المعتصم بل كان ردا ودفاعا وانتقاما من الأعداء وهو جوهر غزوة بدر التي كانت دفاعا عن الدين ودفعا لعدوان قريش واستخدامها معادل موضوعي يردنا إلى تراثنا ويعظم من شأن الانتصار ، وإن ذود المعتصم عن وطنه ، وفتحه عمورية دفاعا عن الدين يربط تاريخه بتاريخ الفتوحات الإسلامية في معركة بدر .

والصين يستخدمها أبو تمام معادلا موضوعيا لوطنه فهي تمثل رمز البعد الذي يتطلب الوصول إليه المشقة والجهد يقول أبو تمام :

فالصين منظوم بأندلس إلى حيطان رومية فملك ذمار
ولقد علمت بأن ذلك معصم ما كنت تتركه بغير سوار

المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي

استخدم شعراء الجاهلية المعادل الموضوعي في قصائدهم ، كي يعكسوا انفعالاتهم ومشاعرهم على عناصر الطبيعة وكائناتها الحية، ومن ثم كانت هذه المشاهد الحسية التي صوروها في قصائدهم غنية في دلالاتها وإيحاءاتها، وكانت قادرة على تجسيد مشاعرهم النفسية .

ومن شواهد المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي قول الشاعر الشنفري الأزدي :

وإني كفاني فقد من ليس جازيا بحسنى ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيع وأبيض إصليت وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون تزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل

فالشاعر الشنفري يستعيض عن الأصحاب المقربين من القبيلة بثلاثة قرناء أخلاء : قلب مقدام، وسيف مجرد وقوس قوية وهو يجعل من القوس والسهم معادلا موضوعيا لتصوير إحساسه الذي يريد التعبير عنه، فالقوس رمز معادل للقبيلة، والسهم معادل موضوعي للفرد من

أبناء القبيلة ، وانفلات السهم وانفصامه عن القوس يعادل انفلات الفرد عن قبيلته ، فالشاعر يريد بالقوس قبيلته ، وبالسهم ذاته .

والأديب الواعي يلعب دورا كبيرا في إبراز القضايا التي تهم المجتمع، ويشخص المشكلات التي يعاني منها أبناء المجتمع، ويسهم في تقديم الحلول لتلك القضايا والمشكلات من خلال رؤيته الذاتية باعتباره أحد أفراد المجتمع، ومن ثم يكون الأديب أكثر قدرة على تصوير هذه المشكلات وتقديم مقترح للحلول لتلك المشكلات .

يقول الشنفري :

ولي دونكم أهلون : سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

إنه يقصد مجتمع الوحوش : الذئب والنمر والضبع بديلا عن مجتمع القبيلة التي نبذته ، ويصف إياهم بالأهل ، ويصف هذا المجتمع الجديد بالأهلون ، على صيغة الملحق بجمع المذكر السالم بإنزالهم منزلة العقلاء وفي هذا استهزاء بمجتمع القبيلة الذي لم يصن للشاعر مكانته ولم يحفظ مشاعره بل نبذه وطرده من القبيلة لأنه كان منتسبا إليهم وليس من أبناء القبيلة ولهذا رأى الشاعر في هذا المجتمع القبلي افتقاد معايير الإنسانية وهذا ما يستوجب من الشاعر الرحيل والابتعاد عنه يقول الشاعر :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

لقد عاش الشاعر زمنا طويلا بينهم وهو يعتقد أنهم قومه ، ولكن بعد أن انكشف الخبر على حقيقته صحا من غفوته وغفلته ، ففجع أشد الفجع وذاقت نفسه مرارة الخبر ، وأحس بالغربة الشديدة واتجه إلى قوم آخرين عله يجد فيهم ذاته ويشعر بينهم بمكانته ، .

ونلاحظ هنا أن الأمر صادر من الفرد إلى القبيلة وهذا يكرس نوعا من الفوقية والتعالي، حيث إن الأمر غالبا ما يصدر من شيخ القبيلة إلى الأفراد وأما هنا فالأمر صادر من الفرد إلى القبيلة على سبيل التعالي والفوقية فالشاعر يحذر القبيلة من انحرافهم عن جادة الصواب وميلهم إلى التجاهل ، والتعبير يظهر نفسية الشاعر التي طواها البؤس وحاصرها الهم وأقلقتها الغربة ، بعد أن خاب أمله وتبدد حلمه فكانت ردة فعله قوية أعلن أنه سينفصم وينشرخ عنهم وليس نادما على فعله لأنهم لا يحفظون الود، ولا يعرفون أواصر المحبة وروابط الأخوة يقول الشاعر :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل
ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل
وإني كفاني فقد من ليس جازيا بحسنى ولا في قربه متعلل

ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيع وأبيض إصليت وصفراء عيطل
إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزأة عجلى ترن وتعول

إن الشاعر يود أن يكون في قوم يحفظون السر ، ويرعون الحقوق، ويحفظون مشاعر الفرد في انتمائه إليهم ، حتى لو كان الفرد جانيا، وليس من طبيعتهم خذلان من ينتمي إليهم والشاعر ينتقد هذا المجتمع الذي اختلت فيه البنية الاجتماعية، وضاعت فيه المعايير الضابطة ولذلك افتقد هذا المجتمع المعايير الاجتماعية لضبط السلوك واحترام أعضائه وبذلك أصبح هذا المجتمع غير جدير بالاحترام والتقدير ولذلك ثار عليه الشاعر وطلب بديلا عنه.

لقد اختار الشاعر السفر في المجهول، فالأرض مناى وما بالأرض ضيق، فأرض الله رحبة واسعة، جنباتها مترامية الأطراف، إنه حديث القوة والنقد المباشر، فمن يملك العقل لا يقيم على الضيم، ومن يملك الشعور بالكرامة لا يرضي بمجتمع هذه صفاتهم دنيئة يقول الشاعر :

وإني كفاني فقد من ليس جازيا بحسنى ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع وأبيض إصليت وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون تزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل
إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزأة ثكلي ترن وتعول

فالشاعر يستعيض عن القبيلة التي لم تحفظ العهد ، ولم تكتم السر ولم تصن أبناءها بثلاثة أخلاء : قلب مقدام، وسيف مجرد ، وقوس قوية ، والشاعر هنا قد جعل القوس معادلا موضوعيا للإحساس الذي يرغب في التعبير عنه، فالقوس معادل موضوعي عن القبيلة، والسهم رمز للشاعر نفسه المنتمي إلى القبيلة ، وانفلات السهم وانفصامه عن القوس انفلات أو انشراخ للفرد عن القبيلة ، ولذلك تري القبيلة تحن كأنها مرزأة الثكلى ترن وتعول ،.

فالشاعر يريد بالقوس قبيلته وبالسهم نفسه وذاته ، وبالأنين والعويل الخسران الذي افتقدته القبيلة بفقدان عزيز عليهم وهو عزيز قوم ويقصد به الشاعر نفسه بيانا لمكانته ولعظم منزلته على سبيل المعادل الموضوعي ،. وفيه تلميح بمكانته وفي الوقت نفسه تعريض بشيخ القبيلة الذي تجرد من هذه الخصال المنشودة .

فالأفراد يزينون القبيلة ، فإذا زل فرد من أفراد القبيلة فإنها دائمة الحنين والشوق إلى رجوعه وتماسكه مع باقي أفرادها ولذلك تظل القبيلة دائمة الحنين والبكاء عليه، والشاعر هو الكائن الخارق الذي يمتلك مفاتيح الكون ، في لحظات التجلي .

أولاً : إسقاط المشاعر النفسية على الخيل :-

الخيول رفيقة الشعراء في حلهم وترحالهم وحروبهم ، ولذلك بالغوا في وصفها ، وأسقطوا مشاعرهم عليها، وصوروها في هيئة إنسان يتحدث ويتألم، ويعبر عن مشاعره، فهذا عنترة العبسي يصور خيله وهو يجرى معه حواراً لو يستطيع الخيل النطق لنطق به وشكا، هو في الحقيقة يعبر عن شجاعته في اقتحام الصعاب وقدرته على خوض غمار الأهوال، وتحقيق الانتصارات يقول عنترة متخذا من خيله وجواده معادلا موضوعيا لمشاعره الذاتية :

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لـو علـم الكلام مكلم

ولقد شفى نفسى وأبـرا سقمهـا قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

وقد خلع شعراء الجاهلية على خيولهم صفاتهم وأحوالهم واضطراباتهم وصراعاتهم النفسية ، وهيئاتهم الإنسانية وأروك من خيولهم أناساً يشعرون ويحسون ويتكلمون ويعبرون عن فرحهم وترحهم وتعبهم وهمومهم ، وهي في الحقيقة مشاعر الفارس وآلامه النفسية من بسط وانقباض وشكوى ، وحنين وأنين، فهذا طفيل الغنوي يصور حصانه وهو يطرب ويفزع ويطارد الخيول، ويحقق أمنيات الشاعر فيقول :

له في طرب في أثرهن وربه إلى ما يرى من غارة الخيل أطرب

وهذا امرؤ القيس يصف فرسه الأشقر بصفاته النفسية ، ويعبر عن اضطراب نفسيته وقلقه ، واضطرابه وسرعته، وخفته في الحركة وسرعته التي تقيد الأوابد، وبالغ في وصفه فجعله يكر ويفر في آن واحد، وينطلق كصخرة دفعها السيل من قمة الجبل، ولذلك كان خيله جديراً بأن ينتصر عندما أقحمه في معركة، جعلنا لا نستنكر انتصاره فيها لأن من هذه صفاته كان جديراً بأن يحقق النصر، ومن هنا التقت صفات الشاعر مع فرسه، حيث جعل لفرسه نفسية مضطربة وقلباً يغلى حنقاً على الأعداء وهي مشاعر الشاعر نفسه الذي تفور داءه حنقا على أعدائه الذين قتلوا أباه وتركوا له الحرص على الثأر والانتقام، فيقول الشاعر :

على العقب جياش كأن اهتزامه إذا جاش فيه حميه غلي مرجل

فالحصان يغلى غليان القدر عندما يوجهه صاحبه إلى ساحة النزال وتلك مشاعر امرئ القيس الذى تغلي نفسه ثورة على بني أسد الذين استباحوا حرمة ملك أبيه، وسلبوا مجده ، ولم يتركـوا له إلا الذكريات التي تؤرق حياته، ومن هنا يسقط الشاعر صفاته النفسية وقدراته البطولية على فرسه .

ويبالغ الشاعر في وصف فرسه، فهو ضامر البطن كالظبي النافر القوى، له ساقان قويتان كالنعامة، شديد السرعة كالذئب الفزع ، واسع الحيلة والخداع كالثعلب المضطرب، فإذا تأملت هذه الصورة تجد أنها نفس صفات الشاعر التي عمل على انعكاسها على فرسه على سبيل المعادل الموضوعي ، حيث صور نفسيته المضطربة وقلبه الثائر وعزيمته الوثابة على خوض الصعوبات وتحمل الأهوال والتبعات وتحقيق النصر، واستعادة مجد أبيه السليب.

يقول امرؤ القيس في وصف فرسه واستخدامه كمعادل موضوعي، والدليل على ذلك أن الشاعر لم يكتف بوصف فرسه ، بل أدار معركة حامية الوطيس وجعل النصر فيها لفرسه ، والخلفية النفسية هي انتصار نفس الشاعر التي أسقطها على فرسه يقول الشاعر :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجـرد قيـد الأوابـد هيكـل
مكـر مفـر مقبـل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل
له أيطلاً ظبي وساقـا نعامـة وإرخاء سرحان وتقـريب تتفـل

ويصور الشاعر فرسه حين قيد أوابد البقر الوحشي ، ولحق بها ، وأحدث في نفسها اضطراباً وتفرقا، ومن ثم استطاع الشاعر صيد إحداها وقدمها طعاماً لضيوفه الذين ظلوا يطهون ويأكلون حتى شبع القوم وترهلوا .

والشاعر يعبر عن مغامراته وذكرياته مـع العذارى قبل أن تدور عليه الدوائر ويضيع ملك أبيه، ولم يبق له إلا الذكريات يعيش عليها علها تجدد الأمل في نفسه، وتوقد الثورة في قلبه وتدفعه لاستعادة ملك أبيه **يقول الشاعر** :-

فعن لنـا سـرب كـان نعاجـه عذارى دوار في الملاء المذيل
وظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شـواء أو قديد معجـل

لقد أسقط امرؤ القيس نفسه على فرسه ، فجعله كالظبي والنعامة والذئب والثعلب ، وأخذ من كل صفة القوة والشجاعة ليشكل من فرسه صورة لنفسيته ثم هيأ مشهداً من القطيع ومن البقر والظباء وجعل فرسه يقيد أوائلها ، ويعوق حركتها حتى تمكن منها وأخذ ما يشاء ، وبذلك أعد الطعام للعذارى ، وقدم القرى للضيوف ، وهذه كلها ذكريات يسترجعها الشاعر ليعبر عن حماسته ، وفروسيته واستعداده لتحقيق النصر واستعاده المجد السليب .

ولا تقل مكانة الناقة عن مكانة الخيل لعرب البادية ، وإن كانت تأتى في المنزلة الثانية ، فهي سفينة الصحراء عليها وبها تقطع المسافات ، وهى وسيلة الوصول إلى الغابات ، ولذلك أسقط عليها الشعراء نفسياتهم فجعلوها تشكو ، وتئن وتبوح لهم بالتعب والمشقة .

والحقيقة أن الشاكي هو نفس الشاعر التي تئن من البين، وتشكو من الفراق، وتعانى من الألم والمشقات ، فالشاعر يشكو بلسان ناقته ، فهذا المثقب العبدي يسقط نفسيته على ناقته ، فيجعلها تتأوه تأوه الرجل ولم يقل المرأة لأن الرجل أكثر تحملاً للمشقات والصعوبات ولا يتأوه إلا إذا صرعه الأم، وبالطبع تلك نفسية الشاعر التي أسقطها على ناقته يقول المثقب العبدي:-

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضيني أهذا دينه أبداً ودِيني
أكـل الدهـر حـل وارتحـــال أمـا يبقـى علـى ومـا يقينـي

أي تلاحم هذا الذى جعل انفعالات الشاعر ناطقة على لسان ناقته التي تتأوه من التعب ، وطول السفر، وكثرة الصعوبات في رحلة طويلة يصور فيها الشاعر مشقته ومعاناته في سبيل الوصول إلى صديقه عمرو، حيث ذهب ليعاتبه على ما بدر منه .

والشاعر يجعل الناقة تعاتب صاحبها ، وتشكو إليه منه ، وهذا نفس ما يسعى الشاعر إليه في رحلته، فالمكروه الذى أصاب الناقة هو نفسه ما أصاب الشاعر ودفعه على عتاب صديقه ، والتظلم على لسان ناقته فإن لسان حاله يقول ويشكو من صديقه، ويتأوه من ظلمه له ، ولذلك يقول الشاعر مخاطباً صديقه عمرو بن هند :.

إلى عمرو ومن عمرو أتتني أخي النجدات والحلم الرصين
فإما أن تكون أخي بحق فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتتقيني

ثانياً :- الإسقاطات النفسية على الحمار الوحشي :-

الغيرة على الأنثى ، والدفاع عن الشرف ، وصيانة عفاف المرأة من سمات الإنسان ، ولكن الشاعر الجاهلي استخدمه للحمار الوحشي ليسقط نفسيته، ومشاعره عليه، ويوضح ما يدور بخلده نحو زوجته، فهذا لبيد بن ربيعة يفصل ما يجري في نفسه من انفعالات الغيرة والحرص على أنثاه، ويسقط ذلك على الحمار الوحشي بصورة أكثر دقة، وأشد دلالة على ما يقصد الشاعر على سبيل المعادل الموضوعي ، يقول لبيد .

أو ملمع وسقت لحقب لاحه طرد الفحول وضربها وكدائها
يعلو بها حدب الإكام مسحج قد رابه عصيانهـا ووحامهـا

والشاعر يسقط نفسيته على زوج الحمار الوحشي مع أتناه ويوضح ما يعانيه الفحل من صراع ، وعذاب دفاعاً عن أنثاه، ويخوض الصراعات مع الفحول حتى يناله التعب والإعياء ورغم ذلك لا يترك أنثاه، ولا يتخلى عنها بل يفر بها بعيداً عن الصعوبات والصراعات وما هذه إلا سمات وصفات الإنسان التي أسقطها الشاعر على الحمار الوحشي يقول لبيد :

حتى إذا سلخـا جمادى ستة جزءاً فطال صيامه وصيامها

رجعاً بأمرهما إلى ذي مرة حصد ونجح صريمة إبرامها

وبذلك يوضح الشاعر أن نجاح عزيمته رهين التصميم عليها ، ويعلن أنه لن يتخلى عن أنثاه ، ولو كلفه ذلك حياته، وبذلك استطاع الشاعر أن يعكس صفات الإنسان من خلال تصرفات الحيوان على سبيل المعادل الموضوعي .

ثالثاً :- إسقاط المشاعر الذاتية على البقرة الوحشية :-

أبرز الشعراء جوانب الحياة الإنسانية ، والصفات الغريزية على الحيوانات على سبيل المعادل الموضوعي، لإبراز حنان الأمومة ووفائها وإخلاصها من خلاصة قصة الثور الوحشي وحماره " الأتان " ومن خلال البقرة الوحشية التي تحافظ على صغارها ، وتدافع عنهم ، وتكابد المشقات حفاظاً على أبنائها ، يقول الشاعر موضحاً قلقها وهمها المتجدد لفقد رضيعها :

خنساء ضيعت الفرير فلم يرم عرض الشقائق طوفها وبغامها

باتت وأسبل واكف من ديمـة يروى الخمائل دائمـاً تسجامها

يعلو طريقة متنهـا متواتـر في ليلة كفـر النجـوم غمائها

فإذا اشرق الصباح رأيت البقرة المسبوعة تشتم الحصا والرمال، باحثة عن رضيعها، وتنتقل من مكان إلى آخر، وكلاب الصيد تطاردها وتحاول الفتك بها ، ولكنه صراع الحياة في معركة ضارية يجعل الشاعر النصر فيها لقوة العزيمة فتنتصر البقرة الوحشية على أعدائها بقرنيها وبما تثيره من غبار وفى انتصارها انعكاس لانتصار عزيمة الشاعر الذى أسقط مشاعره ونفسيته عليها يقول لبيد :

حتى إذا انحسر الظلام وأسفرت بكـرت تزل عن الثرى ازلامها

لتـزودهن وأيقنت إن لـم تزد أن قد أحم مع الحقوق جمامها

رابعاً:- إسقاط الشاعر نفسه على مظاهر الطبيعة :-

يتخذ الشاعر من وصف مظاهر الطبيعة ستاراً فنياً ، يعبر فيه عما يساوره من صراعات وآلام، ويتخذ من شخوص الطبيعة رموزاً تعبر عن آلامه وانفعالاته وحيرته وصراعاته يقول امرؤ القيس :-

وليـل كموج البحر أرخي سدوله — على بألـوان الهمـوم ليبتـلي

فقـلت لمـا تمطـى بصلبـه — وأردف أعجـازاً ونـاء بكلكل

ألا أيهـا الليل الطويل ألا انجلى — بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فيالك مـن ليـل كـأن نجومه — بكل معـار الفتـل شدت بيذبل

استطاع الشاعر إسقاط همومه على مظاهر الطبيعة، وكانت الخلفية النفسية وراء هذه الصور التي نظمها الشاعر لمظاهر الطبيعة من ليل وموج وبحر ونجوم وصخور وغيرها فأسقط عليها نفسه، والذى ربطها مباشرة بصورة العاذل اللائم حين قال :

ألا رب خصـم فيك ألوى رددته — نصيح على تعذاله غير مؤتـل

وليل كموج البحر أرخي سدوله — علي بألـوان الهمـوم ليبتلـي

فلسان خلفيتها على لسانه يقول : يا من تنصحني بالكف عن تذكر الماضي ، وتعذلني عن الانتقام بتأليب القبائل ، والخروج إلى كل مكان لاسترداد ملك أبي ، والثأر لكرامتي ، دعك من هذا اللوم لأنك لا تعرف أنني غارق في بحر لجي من الهموم لن ينقضي لأنها كبلتني بصخور الهم ، وجبال الألم ، ولن أتخلص من أسر كل ذلك ما لم أثأر لملك أبي وأستعيد المجد الذى كنت ألهو من خلاله .

وإذا أمعنا النظر في وصف الطبيعة نرى إسقاطاً نفسياً للشاعر يصور فيه ما أصاب قومه من ضياع وانصرام ملك ، ويخص الشاعر البيوت والأشجار في مكان يسمى تيماء وهو مكان قومه ليؤكد أنه تفنن في وصف ما أصاب قومه من آلام وصراع، وقتل وتشريد، فالأعداء قتلوا أباه بعد تكالبهم على قومه حتى سلبوا ملكه وشردوا قومه فكانت جموع القبائل مشابهة لقطع السحاب المتجمعة التي تؤلف بينها الرياح وتوجهها، وكذلك صوت الرياح وصليل السيوف، وصهيل الخيل تشبه صوت الفزع الذى أحدثه البرق يقول الشاعر :-

أجار ترى برقا كأن وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل

يقول شوقى ضيف: أجاد الشاعر وصف" الطبيعة المتحركة بما فيها من خيل ووحش، والطبيعة الصامتة بما فيها من أمطار وسيول .

ويري الباحث أن اهتمام الشاعر بإسقاط نفسه على مظاهر الطبيعة التي شرح من خلالها آلامه، ووضح قصته ومعاناته، كان أكثر من إجادته في الوصف لأنه لجأ إلى الوصف لإسقاط مشاعره النفسية على مظاهر الطبيعة ، وتوضيح ما أصاب قومه من تفرق وضياع .

والشاعر يصور الهموم والصراعات والأهوال بالرعد والبرق والسيل الذى يجرف ما يقابله ليوضح ما أصاب قومه، وما يعانيه الشاعر من جراء ذلك، وبهذا " التخصيص كشف امرؤ القيس عن غاية مشهده ، وأنه لم يكن تفننا في وصف الطبيعة بقدر ما كان بكاء ورثاء لحال قومه " .

مما سبق يتضح لنا اهتمام الشاعر بكل مظاهر الطبيعة الصامتة والناطقة وإسقاط نفسه عليها، وجعلها رموزاً لآماله وآلامه، ومعبرة عن نفسيته المضطربة الحائرة أو الثائرة المتمردة أحياناً أخري، كما يؤكد اندماجه مع مظاهر الطبيعة، وتأثره بها وتأثيره فيها فبدت كأنها شخوص ناطقة تشاركه آماله وآلامه .

المعادل الموضوعي عند مطران :

ويصور التقاء الفقر بالغنى في قصيدته " الوردة والزنبقة " حيث يصور مطران تدخل أهل الفتى الأغنياء لعزله وإبعاده عن محبوبته الفقيرة ، فتخرج الفتاة إلى حديقة دارها في مطلع الفجر تتنسم جمال أزهارها ، وتقع عيناها على زهرة حزينة فتخال فيها نفسها ، ويروقها عود فارع من الزنبق فترى فيه محبوبها ، ويمزج الشاعر بين الفتاة والطبيعة على سبيل المعادل الموضوعي، ليخلع على عناصر الطبيعة آلام الفتاة وأشجانها، ويجعل الطبيعة تشارك الإنسان همومه فيقول على لسان الفتاة :

تفقدتها والفجر يفتح جفنه كما انتبه الوسنان والجفن مثقل
إلى أن بدت لي وردة مستكينة كأن دموع الفجر فيها تهلل
يلوح عليها للكآبة والأسى مخايل دقت أن ترى فتخيل
ويكسبها معنى الحياة ذبولها لدى ناظريها فهي في النفس أجمل
ملكية ذاك الروض جاور عرشها من الزنبق العاتي مليك مكلل

فبينا يدي تمتد آنا إليهما ... ويمنعني الإشفاق آنا فأعدل
إذا والدي قد طوقتني يمينه ... وفي وجهه دمع من العين مرسل
فقال وما يدري بموقع قوله ... لما هو من أمري وأمرك يجهل
بُنّية عفوا عنهما فكلاهما ... شقي يود الموت والموت ممهل
فلا تسبقي سيف القضاء إليهما ... على أنه يشفيهما لو يعجل
حبيبان سُرّا ساعة ثم عوقبا ... طويلا كذاك الدهر يحلو ويبخل
وإن لهذين العشيقين حادثا ... غريبا بودى أن أرى كيف يكمل
فقد جاورت هذي الوفية إلفها ... إذ الإلف مياس المعاطف أميل[1]
فكان إذا مرت به نسم الصبا ... يسر إليها سر من يتغزل
يداعبها جهد الصبابة والهوى ... ويعرض عنها لاعبا ثم يقبل
فوا رحمتا هذي حقيقة حالنا ... رآها أبي في الزهرتين تمثل
هما صورتانا في الهوى وحديثنا ... حديثهما بين الأزاهر ينقل[2]

فإذا أنعمنا النظر في الأبيات نرى صورة متكاملة يرسمها الشاعر لمشاعر العاشقين ، ويخلع هذه المشاعر على الأزهار في جو الطبيعة، ثم يصور مشاعر المحبين من خلال انعكاسها على لبنات الطبيعة على سبيل المعادل الموضوعي .

فالأبيات تترابط مع بعضها ترابطا عضويا قويا يؤدي إلى تحقيق الوحدة الفنية في القصيدة، فالموضوع واحد وإن تشعبت أغصانه، والعاطفة المسيطرة عليه عاطفة الحزن والأسى والإشفاق لحال العاشقين ، وتتوالى الأبيات وتتابع في ترابط عضوي لتشكل لوحة فنية متكاملة مصورة المشاعر والأحاسيس قادرة على التأثير في المتلقي .

أما لغتها فتمتاز بالإيحاء والسهولة والعذوبة الرومانسية المتدفقة بالمشاعر والأحاسيس والعواطف، والصورة الفنية تشكل لوحة معبرة بخطوط ممتدة خلال القصيدة تجمع بين الصوت واللون والحركة ، وتلك من أهم سمات التجديد في بناء القصيدة عند خليل مطران وغيره من شعراء الرومانسية .

---

[1]) السابق /١٣٤
[2]) السابق /١٣٤

فالشاعر يخلع مظاهر حياة الأشخاص على الطبيعة ، ويجعل منها شخوصا نابضة بالحركة والجمال ، في إطار قصصي يوحي بالترابط والتماسك بين أغصان القصيدة .

وللشاعر قصيدة يصور فيها معاناته الذاتية، وآلامه النفسية، ويبث هذه الآمال إلى الطبيعة التي تشاركه آلامه وآماله ، فهي معشوقة الرومانسي يجد بين أحضانها جوا حانيا، وصديقا مخلصا، وأليفا يسر إليه بخلجات نفسه، ومكنون مشاعره .

فالشاعر يصور في قصيدته" المساء " تجربته الذاتية، ومشاعره الوجدانية، وشعوره بالغربة والألم والسقم، فيذهب إلى شاطئ البحر ويجلس على صخرة ، ويخاطب البحر عله يخفف عنه ما به من آلام فيقول :

شاك إلى البحر اضطراب خواطري فيجيبني برياحه الهوجاء
ثاو على صخر أصم وليت لي قلبا كهذي الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهي ويفتها كالسقم في أعضائي
والأفق معتكر قريح جفنه يغضي على الغمرات والأقذاء [١]

إن الشاعر يبث أشجانه وهمومه إلى الطبيعة ، فيرى فيها أما رؤوما تهدهده وتحنو عليه ، وتخفف عنه آلامه ، ثم يعكس مشاعره على الطبيعة فيرى فيها أشخاصا تشاركه آلامه ، فالأمواج تحطم الصخر كما تحطم الهموم قلب الشاعر ، والأفق معتكر يبكي بعين أصابها القرح في الأجفان، فهو يتألم ويخفي مدامعه والحقيقة أن هذه المشاعر الحزينة هي انعكاس مشاعر الشاعر على الطبيعة، ثم يذكر الشاعر قصته ومعاناته على شاطئ البحر من الذكريات المؤلمة التي تدمي قلبه فيقول :

ولقد ذكرتك والنهار مودع والقلب بين مهابة ورجاء
وخواطري تبدو تجاه نواظري كلمى كدامية السحاب إزائي
والدمع من جفني يسيل مشعشعا بسنى الشعاع الغائب المترائي [٢]

فقد استخدم الشاعر خياله الخلاق ليصور مشاعره ، وآلامه ويخلعها على عناصر الطبيعة ، وإننا نستكشف في هذه القصيدة الحلول الشعري ، فالشاعر حال في الطبيعة أو الطبيعة حالة فيه ، فرياح البحر الهوجاء صدى لاضطراب خواطره ، والصخرة الصماء ينتابها موج كموج مكارهه ، والبحر خفاق الجوانب ضائق كمدا كصدر الشاعر ساعة الإمساء ..

[١]) ديوانه ١٤٥/١
[٢]) السابق ١٤٥/١

ومن كل هذا تتكون المرآة التي يرى فيها الشاعر نفسه ، أو تحل الطبيعة في الشاعر كما يحل فيها . [١]

ويربط الشاعر بين الطبيعة وبين الإنسان ،ويجمع بينهما قانون واحد ويسمو بخياله المبدع الخلاق لينشئ علاقة بين النسيم والوردة ويجعل لهما فماً يقبل كل منهما الآخر ،ويمتد خياله ليوجد علاقة بين حمرة الوردة وبين النسيم موضحا أن حمرة الوردة من خجلها عندما يقبلها النسيم ،وهذه صورة رومانسية جديدة لم يسبق مطران إليها ،كانت ثمرة لخياله الخلاق يقول مطران :

خلقت بيضاء كالرجاء فهام في حبك النسيم
فراح مذ دار في الفضاء مقبلا ثغرك الوسيم
فبت في حمرة الحياء لذلك المنكر الجسيم
ذنب تحللتماه قدما فلبث الورد وهو قان
كذلك جاءت حواء إثما فعوقب النسل غير جان [٢]

ويقوى خيال الشاعر حيث يعلل حمرة الورد بذنب ارتكبته في حب النسيم ،ويمثل ذلك بأكل ادم وحواء من الشجرة ونزولهما من الجنة بسبب هذا الذنب الذي امتد أثره إلي ذريتهما وكذلك تحول لون الوردة إلي اللون القاني بعد أن كانت زهرة بيضاء إنه الخيال الرومانسي الخلاق الذي يصور جوانب الحياة ويضفي عليها من التشخيص ما يجعلها تشارك الشاعر همومه وآلامه ولم يسبق الشاعر إلي مثل هذه الصور البديعة في شعرنا العربي حيث يري في قطف الأزهار موتا للزهرة الآثمة ،والموت راحة لها من الذنب الذي اقترفته ،ويري وجوب ترك الزهرة وعدم قطفها لأن اقتطافها شفاء لها ،لأنهما حبيبان آثمان معاقبان بذنبهما وهي نفس مشاعر الشاعر مع محبوبته حيث صورها في قصة تعادل مشاعره وأحاسيسه يقول الشاعر :

بنية عفوا عنهما فكلاهما شقي يود الموت والموت ممهل
فلا تسبقي سيف لقضاء اليهما علي أنه يشفيهما لو يعجل
حبيبان سرا ساعة ثم عوقبا طويلا كذاك الدهر يسخو ويبخل
فقد جاورت هذي الوفية إلفها إذ الإلف مياس المعاطف أميل
فكان إذا مرت به نسم الصبا يسر إليها سر من يتغزل [٣]

---

[١]) عبد القادر القط : الاتجاه الوحداني في الشعر العربي المعاصر /١٠٦

[٢] ديوانه ٣٧/١

[٣] الديوان ١٣٥/١

وهكذا يعرض مطران صوره التركيبية تشكل بانضمامها إلي الصور الأخرى لوحة فنية بديعة تدل علي عظمة الفنان وقوة الخيال الجامع الذي يجمع بين عناصر الطبيعة في صورة متكاملة تشكل لوحة بديعة ،وكأنه يقص قصة طريفة .

وهذه الصور من أشكال التجديد في القصيدة الرومانسية ،حيث نري الوحدة العضوية الماثلة في وحدة الموضوع ،ووحدة العاطفة وترابط عناصر الموضوع ترابطا عضويا يجعل اللوحة تتكامل بأجزائها كما يتكامل الجسم بأعضائه ،والتمثال بأجزائه .

ويستخدم الصورة الكلية التي توضح العلاقة المتبادلة بين أغصان الشجرة التي تحركها الرياح فتجد في هذه الحركة قربا من المحبوب فيقبل كل منهما الآخر ،وإذا بحثت عن خطوط الصورة الكلية تجدها ماثلة في صوت ولون وحركة تجد الصوت في سرًا، نسم الصبا ،يسر يتغزل ،وهي كلمات تدل علي الصوت ،واختار من الألفاظ ما يدل علي الحركة مثل "تسبقي ،يعجل ،جاورت ،مرت النسم "وهي توحي بالحركة والانتقال والاقتراب ،ثم نجد اللون في المعاطف بألوانها الزاهية الجميلة ،وهذه الخطوط جديرة بتشكيل لوحة فنية رائعة تعبر عن خلع الحياة علي الطبيعة وجعلها تشارك الشاعر آماله وآلا وآلامه ،وتبوح بمكنون أسرارها إليه ،وتشخيص الطبيعة أهم سمات المذهب الرومانسي في أدبنا العربي .

ولمطران قصائد كاملة في وصف الطبيعة ،يمتزج فيها الوصف بأحاسيس الشاعر وعواطفه ، التي تؤثر فينا فتجعل القارئ يشعر بشعور الشاعر ،ويتأثر بما تأثر به من مظاهر الإعجاب ،فليس الوصف مقتصرا علي ذكر التشبيهات والصور ولكن يختلف عند مطران فهو يخلع مشاعره علي الطبيعة فتراها تشاركه أحاسيسه كما قال "لا مرتين " إن الشاعر قادر على "إحلال ما في نفس الإنسان وقلبه وعقله ،من مشاعر في الطبيعة ،وهذا مذهب الرومانسيين عامة".

وقد بث مطران في الطبيعة روحا حية ،جعلتها كائنات متعاطفة معه ،فتسعد عند سعادته ،وتشقي عند شقائه ،وتتألم بآلامه ،ففي قصيدته "المساء" يعبر عن حالته النفسية ،فقد غلب الألم علي نفسه ،وآلمه اليأس فلجأ إلي البحر الذي انفعل لانفعاله ،وأجابه برياحه الهوجاء ،وجعل الشاعر اصطدام الهموم بقلبه المعذب مشابه لاصطدام الأمواج بالصخور وجعل الأفق باكيا حزينا متأثرا بآلامه وأحزانه ،ورأي الغروب يصرع الشمس والنهار كما تصرعه الهموم والآلام ،ورأى السحب دامية والدموع تسيل منها يقول الشاعر:

شاك إلي البحر اضطراب خواطري فيجبني برياحه الهوجاء
ثاو علي صخر أصم وليت لي قلبا كهذي الصخرة الصماء
ينتابها موج كموج مكارهي ويفتها كالسقم في أعضائي
والأفق معتكر جريح جفنه يفضى علي الغمرات والأقذاء
وخواطري تبدو تجاه نواظري كلمى كدامية السحاب إزائي [١]

فالشاعر امتزجت أحاسيسه بالطبيعة فرأيناها مؤرقة مسهدة كالشاعر تبكي وتتألم ،وتشارك الشاعر آلامه وأحزانه ،وهي سمة من سمات الرومانسية وهي تشخيص الطبيعة وجعلها تتفاعل مع الشاعر ،وكأنهم بشر لهم مشاعر وأحاسيس.

فالشاعر يتفانى في الطبيعة ،ويسبح في أرجائها ،فيحس بمشاركتها ودفء مشاعرها كأنها أشخاص تشاطره آلامه وأحزانه ،فالطبيعة كالأم الرؤوم تشاركه عواطفه وآلامه يقول مطران :

لم انس حين التقينا والروض زاه نضير
إذا العيون نيام والليل راء حسير
وفي الهواء حنين من الهوى وزفير
وللمياه أنين تذوب منه الصخور
وللنسيم حديث علي المروج يدور
وللأزاهر فكر يرويه عنها العبير [٢]

المعادل الموضوعي في القصة الشعرية عند حافظ إبراهيم

ولقد لجأ حافظ إبراهيم إلى الإطار القصصي في نشر دعوته إلى رعاية الفقراء والمساكين، والاهتمام بدور رعاية الأطفال والمسنين ، لأن الأسلوب القصصي أخف وقعا على النفوس، وأكثر تأثيرا في القلوب التي تتعايش مع مضمون القصة ، فتجود بما لديها من دواعي الجود، لتقدم لهذه المؤسسات كل عون حتى تحقق رسالتها في خدمة المجتمع ، ورعاية البائسين، وتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع الإسلامي . ويلجأ حافظ في قصته الشعرية إلى نقد بعض الحالات الاجتماعية في المجتمع ، فيصور في إحدى قصصه وفاء كلب رجل

[١] ديوان خليل مطران :قصيدة المساء/١٢٣

[٢] ديوان مطران ٢٤/١.

بخيل، والحقيقة أنها قصة نقدية لبعض الحالات الاجتماعية في المجتمع حيث ترى المودة الزائفة والعلاقات الخادعة بين الأصدقاء فإذا وصلت إلى حد الجود والعطاء انكشف أمرها ، وظهرت حقيقتها ، واتضح زيف فعالها ، وكأني بحافظ يقول:

جود الرجال من الأيدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

القصة تصور وفاء كلب مع بخيل ، يتعلق الكلب بصاحبه ورغم ذلك يبخل عليه بكسرة من خبز تسد رمقه ، وتدفع سغبه ، حتى يصل الكلب مع صاحبه إلى حالة من الضعف والإجهاد ، ولا يستطيع متابعة السير معه فيبكي البخيل على ضعف النحيل ، ولا تجود يمناه بما ملكت يداه من أرغفة لامعة هي دواء للسقام .

فلما يسأل الناس ما بالك باكيا فيقول أرق لحال هذا المسكين ، فيقولون ما أصابه فيقول: نحل جلده من الضعف والهزال والسغب ، فيرون الأرغفة في يده فيقولون إن دواءه بيدك ، فيقول : ألم يكفه أن تجود عينيّ عليه بالبكاء ، فلم تصل صداقتنا إلى حد العطاء :

سمعت أن امرءاً قد كان يألفه كلب فعاشا على الإخلاص واصطحبا
فمر يوماً به والجوع ينهبه نهبا فلم يبق إلا الجلد والعصبا
فظل يبكي عليه حين أبصره يزول ضعفا ويقضي نحبه سغبا
يبكي عليه وفي يمناه أرغفة لو شامها جائع من فرسخ وثبا
فقال قوم وقد رقوا لذي ألم يبكي وذي ألم يستقبل العطبا
ما خطب ذا الكلب ؟ قال الجوع يخطفه مني وينشب فيه الناب مغتصبا
قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية هذا الدواء فهل عالجته فأبى ؟
أجابهم ودواعي الشح قد ضربت بين الصديقين من فرط القِلى حجبا
لذلك الحد لم تبلغ مودتنا أما كفى أن يراني اليوم منتحبا [1]

ويتخذ حافظ من هذه القصة الشعرية مجالا لبث دعوته إلى الإخلاص والوفاء والجود ويدعو إلى أن تكون العلاقة بين المصريين قائمة على أسس الكرم والوفاء وألا تقف عند حد العلاقة بين الرجل وكلبه لأن ذلك يفرق المجتمع ، ويكون عاملا من عوامل ضياعه

أقسمت بالله إن كانت مودتنا كصاحب الكلب ساء الأمر منقلبا
أعيدكم أن تكونوا مثله فنرى منكم بكاءً ولا نلفي لكم دأبا

[1]) ديوان حافظ ٢٧٤/١

إن تقرضوا الله في أوطانكم فلكم أجر المجاهد طوبي للذي اكتتبا

ولم تقف القصة الشعرية عند حافظ إبراهيم عند نقد المجتمع ، ووضع أسس علاجه ، بل امتدت لنقل مشاعر الشاعر وأفكاره على ألسنة أشخاص القصة لتعبر عن حاجته وأمانيه لخدمة الوطن بلسان غيره كما نراه يلجأ إلى تشخيص مصر متحدثة عن نفسها موضحة أمجادها وسالف حضارتها ، وكذلك عندما صور اللغة العربية باكية بين أبنائها تلومهم على بعدهم عن استخدامها ، ناقدة كيف يستخدمون العامية أو المحلية في حياتهم وهي لم تقصر في لحظة من اللحظات في القيام بدورها ، فقد وسعت كتاب الله لفظا وغاية ، ولم تضق عن حمل الحكم والأمثال ، فكيف تضيق عن وصف آلة وتصوير مخترعات ، يقول حافظ في قصيدته : اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها :

رَجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ونـاديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني عَقِمتُ فلم أجزع لقول عداتي [1]
وَسِعتُ كتاب الله لفظا وغايةً وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص على صدفاتي

ثم يصور حافظ اللغة وهي تنعي أهلها الذين ضيعوها ، وجروا وراء كل غريب دخيل حتى كثرت سقطاتهم في الصحف والمجلات والإذاعة المرئية والمسموعة ، فيقول :

أرى كل يوم بالجرائد مَزْ لقا من القبر يدنيني بغير أناة
وأسمع للكتاب في مصر ضجة فأعلم أن الصائحين نعاتي
أيهجرني قومي – عفا الله عنهم – إلى لغة لم تتصل برواة

ثم تتوسل إلى معشر الكتاب في اجتماع محافلهم وتنشدهم إنقاذها من العامية ومن الألفاظ الدخيلة من الإنجليزية والفرنسية وغيرها ، وتدعوهم إلى إحيائها حياة لا ممات بعدها وإلا فسوف تموت موتا لا حياة بعده

إلى معشر الكتاب والجمع حافلٌ بسطت رجائي بعد بسط شَكاتي
فإما حياة تبعث الميت في البلى وتنبتُّ في تلك الرِّموس رُفاتي
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمري لم يقس بمَمَاتِ

---

[1]) ديوانه ٢٠٩/١

وليس الرمز هنا مقتصرا على اللغة العربية بل اللغة معادل موضوعي للشخصية المصرية وللهوية العربية والعمية واللغات الأخرى معادل موضوعي لكل مستعمر دخيل على الوطن يجب طرده للحفاظ على الأمن والوطن .

المعادل الموضوعي عند ناجي :

ويقف ناجى مسترجعاً ذكرياته ،ويتذكر أيام الحب والصفاء ،وكثيرا ما تتغير الأحوال ،وتتبدل الأشواق أحزانا، والسعادة حزناً وكآبة ،لأن الحب يعقبه الهجران ،والهجران يولد الشوق والحنين إلى مواطن الذكريات يقول الشاعر :

أين يا ليلاي عهد الهرم أين يا ليلاي حلو الكلم
هامسات بين أذني وفمي ساريات غادرات في فمي
كلمات عذبة معسولة ضيعت وارحمتا للقسم [١]

وعند وقوف الشاعر علي مرابع ذكرياته يتذكر محبوبته ،ويتمني عودة الذكريات ولكن كيف تعود الأيام الماضية ؟!والشاعر لا يستطيع نسيان محبوبته فينادى الأطلال قائلا:

آه يا هند جراحي كثرت فتعالي ضمدي أنت جروحي
لا تسأليني غدا لا تسالي فغدا أعود كما بدأت غريبا [٢]

وفي قصيدته" العودة" يعود الشاعر إلي دار محبوبته فيجدها قد أقفرت وصارت أطلالا ،بعد أن كانت مهدا للذكريات العذبة ،والأماني الحلوة ،يقول الشاعر معبرا عن عواطفه ومشاعره الملتهبة :

هذه الكعبة كنا طائفيها والمصلين صباحا ومساءا
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها كيف بالله رجعنا غرباء[٣]

المعادل الموضوعي عند محمد عبد المعطى الهمشري:

وإذا طوفنا في بستان الشعر عند محمد عبد المعطى الهمشري نراه يحن إلي مواطن الذكريات ،ويرسل الآهات علي واقعة المر الأليم فيقول الشاعر :

كانت لنا عند السياج شجيرة ألف الغناء بظلها الزرزور

---

[١] الطائر الجريح/١٥
[٢] الديوان /١٣٦
[٣] ديوان ناجي /٣٩

طفق الربيع يزورها متخفيا ويفيض منها في الحقيقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست فيها الزهور وزقزق العصفور

لقد خلع الشاعر مشاعره على الطبيعة فصور معاناته الذاتية في معاناة النارنجة الذابلة فجعل منها شخصا وفيا يشاركه مشاعره يقول الشاعر :

نارنجتي تالله مذ فارقتني وأنا حليف كآبة خرساء
أصبحت بعدك في انقباض موحش وكأنني منه مساء شتاء
كانت لنا يا ليتها دامت لنا أو دام يهتف فوقها الزرزور[١]

لقد خلع الشاعر مشاعره النفسية علي النارنجة الذابلة ،وجعلها تتعاطف معه ،وتشاركه آلامه ،وتلك سمة من أبرز سمات الرومانسية التي تلجا إلي تشخيص الطبيعة، وإلباسها من المشاعر والأحاسيس يقول محمد مندور :"قد خلع الشاعر جو نفسه علي النارنجة الذابلة ،وعلي قريته ،وأضاف إليها كثيرا من خياله الذي خلط بالحقيقة ولكن في غير تناقض ولا تنافر ،بل في وحدة وانسجام تتكامل مع الرؤية الشعرية ،وتعمق التجربة العاطفية ،التي سيطرت علي الشاعر عند تلك العودة"[٢]

الحب معادل موضعي لحب أكبر :

كثيرا ما يتخذ الشاعر حبه معادلا موضوعيا لحب بلاده، ويعكس مشاعره وآلامه ،ويعبر عن حنينه وشوقه لوطنه وحبه الأكبر مصر الغالية يقول ناجي :

حلفنا نولي وجهنا شطر حبنا وننفد فيه الصبر والجهد و العمرا
نبث بها روح الحياة قوية ونقتل فيها الضنك والذل والفقرا
نحطم أغلالا ونمحو حوائلا ونخلق فيها الفكر والعمل الحرا [٣]

ونلاحظ في شعر ناجي ظهور "سمة رومانسية أصلية حيث تتسم الرومانسية بأنها تأخذ شكل "احتجاج ورفض "لكثير من القيم الوضعية والتقاليد الاجتماعية ،ولكن احتجاجها ليس ثورة

---

[١] ديوان الهمشرى/١٥٠

[٢] محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي :الحلقة الثالثة /١٤

[٣] ليالي القاهرة/٢٢٧.

بقدر ما هو سخط عاطفي يستعين بالمعادل الموضوعي أداة للتعبير غير المباشر عن آلامه ويأسه ،وتنفيسا عن ضيقه وأحزانه "[١] .

وتكثر الشكوى والحنين في الشعر الرومانسي عندما تضيق الدنيا بالشاعر وينفض عنه أصحابه ويشعر بالوحدة رغم وجوده في وطنه ،فلا يجد الشاعر أمامه إلا العزف علي قيثارة شعره معبرا عن آلامه وآماله ،وحاجته إلي أنيس يخفف عنه همومه فلا يجد إلا الليل فيخاطبه ويبثه أشجانه كما قال ناجي :

هات قيثارى ودعني للخيال واسقني الوهم وعلل بالمحال
ودع الصدق لمن ينشده الحجى خصمي فاغمر بالضلال
وخذ الأنوار عنى ربما أجد الرحمة في جوف الليالي [٢]

أبو القاسم الشابي :

ويعبر الشابي عن لوعته وآلامه ،وتفرده ومعاناته فيقول:

غرد ولا تحفل بقلبي إنه كالمعزف المتحطم المهجور
متوحدا بعواطفي ومشاعري وخواطري وكآبتي وسروري
ينتابني جرح الحياة كأنني منهم بوحدة جندل وصخور

ويعبر مطران عن هذا المعنى ، موضحاً غربته وضياعه وبأسه من الحياة فيقول :

متفرد بصبابتي متفرد بكابتي متفرد بعنائي
شاك إلي البحر اضطراب خواطري فيجبني برياحه الهوجاء

وقد يشترك الشعراء في التعبير عن المعنى الواحد ويبدو تأثرهم به نحو تأثر الشابي بقصيدة خليل مطران كما يظهر من الأبيات التي تعبر عن المعني نفسه في قوله :

ينتابني موج الحياة كأنني منهم بوهدة جندل وصخور

والبيت الذي يشابهه تماما قول خليل مطران :

ينتابها موج كموج مكارهي ويفتها كالسقم في أعضائي

---

[١] ط وادى :شعر ناجى /٦٣

[٢] ديوان ناجي "وراء الغمام"/٩٧.

ويبدو من خلال تتبع أشعار الرومانسيين أن الحنين والشوق سمة بارزة من سمات الرومانسية تعددت مظاهرها في أشعارهم ،ودلت على معاناتهم وبروز ذاتياتهم من خلال أشعارهم.

فالطبيعة في شعر المهجر"ليست كالطبيعة الموصوفة في الشعر التقليدي فهي لدى المهجرين تحقيق لنظرية الحلول التي عرفت لدي الرومانسيين فهم يحلون فيها وتحل فيهم ،ويمتزجون بها ،وتمتزج بهم ،وهذا يقرب إلي أذهاننا فكرة وحدة الوجود"[١].

والطبيعة معشوقة الرومانسي يجد بين جنباتها ما يخفف عنه آلامه ويواسيه في أحزانه ،إنهم يشخصون الطبيعة ،ويعشقونها ،ويحنون إلى مواطن الذكريات والجمال فيها فيجدوا الراحة والسعادة يقول إيليا أبو ماضي :

سئلتُ :ما راق نفسي من محاسنها ؟ فقلت للناس :باديها وخافيها
وما حببت من الأشجار ؟قلت لهم إني افتتنت بكاسيها وعاريها
وما هويت من الأزهار قلت لهم الحب عندي لناميها وذاويها
قالوا :وما تتمني ؟قلت مبتدراً يا ليتني طائر أو زهرة فيها[٢]

ولا يتوقف نظر الرومانسي عند تشخيص الطبيعة بل يتعداه ليصورها في إطار رمزي ويقتدي بها في التسامح والمساواة والتآلف والحب ،والقيم ،فالطبيعة لاتفرق بين أشجارها ،ولا تميز بين نباتها ،فكلها تعيش معاً في وئام وسلام ،فلا النهر يمنع ماءه عن الشوك ليعطيه للورد ،ولا عن المر ليمنحه للحلو ،ولكن كل عناصر الطبيعة سواء ،وتلك هي النزعة التي يريد الشعراء غرسها في الوجود يقول الشاعر:

وشاهدت كيف النهر يبذل ماءه فلا يبتغي شكراً ولا يدعي فضلاً
وكيف يزين الطل ورداً وعوسجاً وكيف يروِّي العارض الوعر والسهلا
وكيف تغذي الأرض ألأم نبتها وأقبحه شكلا كأحسنه شكلا [٣]

إنهم يمزجون بين أفكارهم ومبادئهم وبين الطبيعة ،"ويلبسونها أزياءها وينفخون فيها من روحهم ،وكأنهم يعيشون فيما يكتبون وينظمون إنما يؤلفون كلامهم من الورود والرياحين

[١] حركة التجديد الشعري في المهجر :عبد الحكيم بلبع :الهيئة المصرية للكتاب /٢٨٤
[٢] ديوان إيليا ابو ماضي /١٢٧
[٣] ديوان إيليا ابو ماضي /١٣٦

والنجوم والأفلاك ، والجداول والمروج ،تسري فيه رقة النسيم المعطر بعبير الزهر ،وما ذلك إلا نتيجة لتعلقهم بالطبيعة ،التي لا تبرح خيالهم ، ولا تفارق وجدانهم"[١].

ويرى إلياس فرحات حياته في الغاب حيث يرى الطبيعة الخلابة ،والوفاء وعدم الغدر بين أشجار الغابة وهي مشاعر يتمنى أن تسود بين البشر، ومن ثم فهو يرى في حياة الغابة غير ما يراه في حياة البشر، ولذلك يلجأ إلي الغاب ليجد سلوة نفسه ،وراحة قلبه يقول الشاعر:

أحنُّ إلي الغاب حيث الشرور هنا لك نيرانها خامدة

أحن إلي حيث لا يجلس الغد ر قرب الوفاء إلى مائدة

ويحن فوزي المعلوف إلي الطبيعة، ويأنس بها ،ويجد راحته في جلوسه بين رياض الطبيعة ،كما يجد المتعة في حديثه مع الطير فيقول:

لا تخافي يا طير ما أنا إلا شاعر تطرب الطيور لشعره

فرَّ عن أرضه فرارك عنها من أذى أهله وتنكيل دهره

ويمزج الشاعر مشاعره بالطبيعة حتى يرى صورة نفسه في الطبيعة ،فإذا قرأت اللوحة الفنية التي شخصها الشاعر عرفت صورته ،وكشفت لك عن أعماق نفسه ،فالطبيعة مرآة تعكس مشاعر الشاعر وتدل عليه يقول فوزي المعلوف:

ما احمرار الأصيل غير لهيب شع من قلبه علي مقلتيه

وركام السحاب غير دخان نفثته الهموم من شفتيه

ما أنين الرياح غير زفير نزعته الرياح من رئتيه

والشاعر يعبر عن انعكاس نفسه على عناصر الطبيعة .

ويرى ميخائيل نعيمة صورة قلبه المعذب الذي ماتت أمانيه حيث يرى صورته في البحر المتجمد الذي جمدت مياهه كما جمدت أماني الشاعر ،فيجري حواراً معه فيقول:

يانهر هل نضبت ميا هك فانقطعت عن الخرير؟

أم قد هرمت وخار عز مك فانثنيت عن المسير؟

بالأمس كنت إذا سمعت تنهدي وتوجعي

تبكي ،وها أبكي أنا وحدي ،ولا تبكي معي

أن بقيت تحوم حولها من بعيد "([١])

[١] حسن جاد حسن :الأدب العربي في المهجر/٢٤٩

تجديد مطران :

إذا أمعنا النظر في شعر مطران نرى فيه معالم التجديد وبواكيره، كالقصص الشعرية التى يبثها في ثنايا شعره، بما تتميز به من أسلوب وتعبير ووحدة فنية يقول مطران :" وغاية ما أتمناه لدى القراء من الجزاء على هذه العبر المروية، والغرائب المحكية، والنوادر الممثلة ، والصور المحيلة ، أن يشاركوني في وجداني في أثناء مطالعتهم لهذا الكتاب، فيرضوا عن الفضيلة كما رضيت ويأسو من الرذيلة كما أسيت . [٢]

إن الشاعر يعبر عن تأثره بمآسي الإنسانية ، التي تفجر ينابيع الحزن والأسى في نفسه ، وتفتح أمام وجدانه عبر الحياة ، وتناقضات النفس البشرية ، ففي قصيدته " وفاء " يحكى الشاعر قصة فتاة فقيرة تسأل الناس إحسانا وهي تعزف على العود ، لتستجدي القلوب ، فيحاول شاب ثري أن يغريها بماله وجاهه فترفضه بكل عزة وإباء ، فيزداد تعلقا بها ، ويطلب الزواج منها بعد أن تعلق قلبه بها تعلقا شديدا ، ولكنها تحاول أن تصده عن قصده وتخشى أن يصاب بالمرض لأنها أحبته ، فيزداد الفتى تعلقا بها ، وإصرارا على الزواج بها ، فيتزوجان ، ويعيشان عاما واحدا في سعادة غامرة ويموت الزوج والقصة تجمع ثنائية التناقض في الحياة الإنسانية التي تجمع بين الفقر والغنى والفضيلة والرذيلة، والكبرياء والإغراء بالمال والجاه ، ورغم التزام الشاعر بالإطار التراثي الشكلي للقصيدة فإنه يطوع أسلوبه لمقتضيات القصة الشعرية من حيث التوزان بين المرونة والرصانة ، والجزالة والسهولة يقول الشاعر :

وأسقام قلبي الواله المتفجع
وما حولنا من نورها المتفرع
وهذي الغصون المصغيات بمسمع
ومهما تَسُمْني صبوتي فيك أسمع (٣)

---

[١] نازك الملائكة : شظايا ورماد :المجموعة الكاملة ٠دار ألعوده بيروت ١٩٧١/٥

[٢]) مقدمة ديوان مطران

[٣]) الديوان /١٢٤

فالشاعر يصور هيام الفتى بمحبوبته، ويشهد الله على ما في قلبه من حب صادق، وعواطف جياشة، ويؤكد أنه أحبها لعفتها وطهارتها ،وإبائها الضيم والهوان، ثم يصور موقف الفتاة أمام هذا الإصرار فيقول :

أفي حلم أم يقظة ما سمعته فإن سروري فرط ما زاد مفزعي
لعمرك ما قرت عيون بمنظر ولا طربت نفس بلحن موقع
ولا رويت ظمأى الرياحين للندى فعادت كأزهى ما تكون وأبدع
ولا أنس الملاح بشرى منارة له بلقا أهل وصحب ومربع
كما ظمأت نفسي بالذي أنت قائل وفارقني اليأس الذي كان موجعي

فإذا أنعمنا النظر في الأبيات نرى صورة متكاملة يرسمها الشاعر لمشاعر العاشقين، ويخلع هذه المشاعر على الأزهار في جو الطبيعة، ثم يصور مشاعر المحبين من خلال انعكاسها على لبنات الطبيعة على سبيل المعادل الموضوعي .

المعادل الموضوعي في مطولة شوقي :

المطولة حيلة أدبية يسقط الشاعر أشياء كثيرة كانت بمثابة الوسائل الناقصة للخلاص من الأجانب والمطالبة بالعدل من الحكام وهذه الأمور لا يمكن نقلها إلى القراء إلا في إطار المعادل الموضوعي من خلال التاريخ وذكر الحوادث والشخصيات.

وتتمايز الشخصيات في المطولة بتجاوزها القدرات البشرية الاعتيادية وإتيانها بالأفعال الخارقة التي تتجاوز حدود الطاقة البشرية حيث نري معجزات فرعون تعود إلى قدرته الذاتية التي وهبة الله إياها وهي تفوق قوي البشر جميعا

تشفق الشمس والكواكب منها والجديدان والبلي والفناء

ويلجأ شوقي إلى المعادل الموضوعي ليبث الثقة والعزيمة في نفوس المصريين مشجعا إياهم على التمرد على الاستعمار والوقوف صفا واحدا في وجهه لمقاومته وطرده من بلادهم فلن يكون المستعمر في قوته بأكثر قدرة من فرعون الذي أهلكه الله وخلص البشرية من شره يقول شوقي

ليت شعري والدهر حرب بنيه وأياديه عندهم أفياء

ما الذي داخل الليالي منا في صباها والليالي دهاء

فعلا الدهر فوق علياء فرعون وهمت بملكه الأرزاء

ويخاطب الهكسوس على سبيل المعادل الموضوعي والمقصود هم غزاة الإنجليز فيقول :

إن ملكت النفوس فابغ رضاها فلها ثورة وفيها مضاء

فالدهر الذي علا فوق فرعون سيصبح حليفا له وعونا وينقلب على أعدائه

يحسب الظالمون أن سيسودون وأن لن يؤيد الضعفاء

والليالي جوائر مثلما جاروا والدهر مثلهم أهواء

ويستخدم الشاعر رمسيس معادلا موضوعيا للبطل المرتقب الذي سيخلص المصريين من الإنجليز مثلما خلص رمسيس البلاد من غزو الهكسوس وقهرهم ، يقول شوقي :

لبثت مصر في الظلام إلى أن قيل : مات الصباح والأضواء

وأتي الدهر تائبا بعظيم من عظيم آباؤه عظماء

من كرمسيس في الملوك حديثا ولرمسيس الملوك فداء ؟

بايعته الملوك في صلب سيتي يوم أن شاقها إليه الرجاء

فالشاعر يرسم صورة البطل الذي سيخلص البلاد من الاحتلال ومن صفاته أنه نبيل الأصل ، محبوب بين البشر ، تتزين الأرض لمولده حليم عادل يرى الناس والملوك أمام عدله سواء فهو ملك شعبي لا يتعالى على الرعية بل يري نفسه واحدا منهم ، يقول شوقي :

ويري الناس والملوك سواء وهل الناس والملوك سواء ؟

يولد السيد المتوج غصنا طهرته في مهدها النعماء

إن شوقي يتمني أن يأتي ملك كالإسكندر الأكبر الذي حارب الفرس وانتصر عليهم وأن يشيد البناء الحضاري ويعلي مكانة البلاد لتكون منارة الشرق يقول شوقي :

شاد إسكندر لمصر بناء لم تشده الملوك والأمراء

بلدا يرحل الأنام إليه ويحج الطلاب والحكماء

ويتمني شوقي قيام الحضارة المصرية الجديدة على أسس العدل وسيادة القانون وإعلاء قيمة العلم وتقدير العلماء يقول شوقي مستخدما المعادل الموضوعي :

ووجود يساس والقول فيه ما يقول القضاة والحكماء

وبناء إلى بناء يود الخلد لو نال عمره والبقاء

وعلوم تحيي البلاد وبيتا هور فخر البلاد والشعراء

المعادل الموضوعي في قصيدة شوقي في الأندلس :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجي لواديك أم نأسى لوادينا

إن الطائر الذي تخيله شوقي يمثل معادلا موضوعيا للشاعر نفسه، فهو الوسيلة الوحيدة لنقل المشاعر الوجدانية إلى المتلقي والتأثير فيه، وهو يعبر عن وجدان الشاعر ومعاناته وآلامه.

إن مصر مطلع السعد ومغرب الحظوظ ، فمصر تشبه أم موسي حين ألقت وليدها في اليم عندما خافت عليه من بطش فرعون وهذا معادل موضوعي آخر عن نفس الشاعر الذي نفته مصر عندما خافت عليه بطش الاحتلال وخوف الهلاك والفناء فمصر لم تنف ابنها غضبا منه أو حنقا عليه بل خوفا عليه ولذلك زاد حنين الشاعر إلى وطنه .

والشاعر يتشوق إلى نسيم مصر في السفن العائدة من مصر فهي بمثابة قميص يوسف الذي رد البصر إلى أبيه يعقوب وفي ذلك توظيف للتراث الإسلامي واستخدامه على سبيل المعادل الموضوعي حيث يتمنى الشاعر عودة النسيم القادم مع سفن مصر ليشفي صدره من الهموم وقلبه من الآلام فالنسيم يرى فيه الشاعر الأشواق إلى أهله ووطنه ، .

والشاعر يستخدم الياقوت على سبيل المعادل الموضوعي والتشبيه البليغ الذي يصور فيه الشاعر نفسه بالياقوت كلما ألقي في النار ازداد نقاء وصفاء وكذلك الشاعر كلما ألقي في الغربة والابتعاد عن وطنه عاد أكثر صفاء ونقاء وحبا وتعلقا بوطنه وبلاده يقول شوقي مؤكدا على الصلابة والشدة والنقاء :

أعداه من يمنه التابوت وارتسمت على جوانبه الأنوار من سينا

ولا حوى السعد أطغي في أعنته منا جيادا ولا أرخى ميادينا

نحن اليواقيت خاص النار جوهرنا ولم يهن بيد التشتيت بانينا

ولا يحول لنا صبغ ولا خلق إذا تلون كالحرباء شانينا

ولم تدع لليالي صافيا فدعت بأن تغص فقال الدهر آمينا

وختاما نقول :

المعادل الموضوعي من أفضل الوسائل للتعبير عن المشاعر والأحاسيس والاتجاهات بطريقة مأمونة تحفظ على الشاعر نفسه ومكانته وكرامته دون أن يتعرض لمكروه أو سوء ودون أن يلتفت أحد إلى فك شفرة ما يقوله الشاعر إلا المتلقين الذين يخاطبهم الشاعر ويريد إبلاغ رسائله إليهم وإثارة نفوسهم وشحذ عزائمهم لمواجهة الأحداث والأخطار وبذلك يستطيع الشاعر توصيل رسالته والتأثير في المتلقي والتعبير عن القضايا الشائكة والحساسة في حياة الشعر ومن ثم يكون الشاعر مبلغا رسالته الإصلاحية أو الثورية في إطار من الأقنعة المؤثرة في امن وسلام .

مراجع البحث

إبراهيم عبد الرحمن : الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠

- : قضايا الشّعر في النقد الأدبي ، مكتبة الشّباب ، القاهرة ١٩٧٧ .
- أبو تمام، حبيب بن أوس: ديوان الحماسة، شرح التبريزي ، دار القلم .
- امرؤ القيس : ديوانه ، شرح حسن السندوبي ، المكتبة الثقافية ،بيروت ، ١٩٨٢
- بلاشير : تاريخ الأدب العربي ،ترجمة إبراهيم الكيلاني ، دمشق ، ١٩٥٦
- ت. ا س إليوت : مقالات في النقد الأدبي ، ترجمة لطيفة الزيات
- حازم القرطاجنّي : منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣ ، بيروت ، ١٩٨٦
- رشاد رشدي : ما هو الأدب ، الأنجلو المصرية ط ١٩٧١
- شوقي ضيف : العصر الجاهلي، دار المعارف ، ط ٧ .
- عفت الشرقاوي : دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩ .
- عمر الدسوقي : الفتوة عند العرب ، القاهرة ، ١٩٥١ .
- المثقب العبدي : ديوانه، تحقيق حسن كامل الصيرفي، نشر معهد المخطوطات ،١٩٧١ .
- محمد صادق حسن عبد الله : خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة ، دار الفكر العربي .
- محمد النويهي: الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر .
- د . مصطفى ناصيف: قراءة ثانية لشعرنا القديم ، ط٢ ، دار الأندلس ، ١٩٨١
- د . نصرت عبد الرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٧٦
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩.
- .يوسف خليف : – الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩.